نبذة تاريخية عن نشأة الطباعة وتطورها

نشأت الطباعة من الحاجة الملحة لها فالحاجة أم الإختراع كما يقال ومن أهمياتها تعد الطباعة أساس العلم لإن العلم قد بني على تراسل معارف وأفكار من خلال مطبوعات ورقية أو غير ورقية ، أي نحن لم نتعرف على حضاراتنا إلا عن طريق الألواح الطينية والآثار المتبقية ، ويعد العراقيون القدماء أول من استخدموا الطباعة لكن ليس بصيغتها المتعارفة حاليا وإنما بشكل أبسط ولكن بنفس التكنيك من خلال اختام اسطوانية تطبع على لوحات طينية لإسماء التجار والأغنياء ومعلوماتهم للتعرف عليهم وذلك كالطباعة من السطح الطابع حاليا ، **أي كانت العملية هي الحصول على عدة نسخ من نسخة أو أصل واحد عن طريق استخدامهم للأختام الإسطوانية** (١) ، فالطباعة هي الوسيلة الأولى للتعليم وتزداد أهميتها مع زيادة الحركة التعليمية وكل ماتقدم به العلم والمعرفة يبقى مدين للطباعة فما كان للعلوم أن تنتشر في أرجاء العالم وفي كل اللغات إلا عن طريق الطباعة التي مكنت المؤلفين من بسط أفكارهم وترويج مؤلفاتهم .

فقد كتب العرب القدماء **على الحجارة والعظام والجلود والخشب وجريد النخل**(٢)، وكذلك **كتب المصريون القدماء على ألواح البردي التي ازدهرت في الألف الثالث ق.م** (٣)، وبعد ذلك كتب الرومان على الرق إذ كانوا يستنسخون عليه شكل يشبه الكتاب وقد تحقق ذلك في أوائل عهد الإمبراطورية الرومانية وأطلق عليه باللاتينية اسم Codex أي الكراس وترجع إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين (١).

---

(١) شهاب احمد الحميد ، تاريخ الطباعة في العراق ، ص ٧ .

(٢) فرانسيس ، روجرز ، قصة الكتاب والطباعة من الصخرة المنقوشة الى الصحيفة المطبوعة ، ص٦٣.

(٣) سفند دال ، تاريخ الكتاب من أقدم العصور الى الوقت الحاضر ، ص٣.

تطور الطباعة: ويمكن إجمال مراحل تطور الطباعة بما يلي :

أولاً: مرحلة الطباعة من الألواح الخشبية :

ذلك وللمرة الأولى في القرن الثاني الميلادي قام الصينيون (**بإستخراج عدة نسخ بالطباعة من كتاب واحد وذلك بالحفر على الخشب والحجر بحيث تبرز الحروف المراد طبعها إلى الخارج**)(٢) ، ولكن ، كيف كان الصينيون يطبعون الكتب من تلك القوالب الخشبية ؟

((لقد كان السطح الطابع الذي يجعل الحبر من هذه القوالب يتمثل في الخطوط البارزة التي تحدد معالم الأشكال والكلمات. أما كل ما حول هذه الخطوط فكان يعمق بالحفر حتى لايصل إليه الحبر. وكان كل مايضمه السطح الطابع في وضع معكوس حتى يظهر معتدلا عند الطبع. ولم تكن لذلك أهمية كبيرة بالنسبة للصور، أما بالنسبة للكلمات فلا شك أن الأمر مختلف)).(٣)

فبالنسبة للصينيون كانت عملية إعدادهم للسطوح الطابعة تبدأ ((**بكتابة النص ورسم الأشكال بالحبر على ورق رقيق ، ثم يوضع وجه الورق فوق لوحة من الخشب المصقول جيداً ويضغط عليه برفق فتنتقل الكلمات والأشكال إلى سطح الخشب ، ويأتي بعد هذا دور الحفار الذي يعمق بالأزميل مالم يلحقه الحبر من أجزاء سطح الخشب ، فتبرز نتيجة لذلك الأجزاء التي تمثل الكلمات والأشكال ، ويصبح سطح القالب معد للطبع بعد تحبيره وضغطه بخفة فوق الورق)).**(١) هذا وقد انتشرت الطباعة بالقوالب الخشبية للصفحة بالكامل من الصين إلى اليابان خلال القرنين الثامن والتاسع ، حيث كانوا يحفرون عليها النقوش للصور والأشكال البارزة ، ويعد أول كتاب مطبوع يوجد الآن هو كتاب ديني في الحكم والأمثال يسمى (درة البوذية) حيث تمت طباعته في مقاطعة (كانزو) وتاريخ طباعته ٨٦٨م وكذلك يحمل اسم طابعه الصيني (وانج تشي)، كما وتمكنت الصين من طبع أول عملة ورقية لها عام ٩٥٠ ميلادية ، وقد ظلت طريقة الطبع بإستخدام الألواح الخشبية في بلاد الشرق بعد ذلك الى نحو ١٢٩٠م ومن ثم إنتقلت إلى أوروبا.

---

(١) خليل صابات ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، ص٨٥.

(٢) سفند دال ، المصدر السابق ، ص٩٨.

(٣) عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، نشر الكتاب التأليف والاخراج والطباعة ، ص٢٨٤ .